النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٤ الاعلام النصرانية الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمَّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليَّة فمنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الَّا انها ادلُّ على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عُدل به عن منعوت نصراني او نُقل معناهُ الى العربيَّة . ولا نطرق هذا الباب الَّا بكل حذر لئلَّا ينسبنا القارئ الى المبالغة ولعلَّ غيرنا يتسع فيه

(امرؤ القيس) لا بدع انَّ بعض نصارى الجاهليَّة دُعوا بهذا الاسم ولعلَّ اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاوَّل ص ٧٧) انَّهُ اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر في العراق . ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيَّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس (المشرق (١٩٠٥) ٨ : ٩٩٨—١٠٠٦) . ولعلَّ سائلًا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنِّن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الاسلام » (ص ١٦٦) انَّ هذا العَلَم احد الاسماء « التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم كاليونان والسريان وقد حرَّفوها » (قال) : « فامرؤ القيس مثلًا نظنُّهُ تحريف ماركوس (مرقس) وربَّما تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لهُ صيغة عربيَّة . . . ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفًا عند العرب قبل النصرانيَّة او قبل مجاورتهم اليونان » . هذا رأي وصفنا جرجي افندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنا والمرجع

ما يقوله المستشرقون انَّ الاسم مركب من « امرؤ » و« قيس » اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني . والله اعلم

(بَحير او بُحيرا) على رأينا انَّ هذين الاسمين بمعنى واحد وانهما من السريانية « حمنمُا » ومعناه الرجل الحاذق والعالم والاغلب انهُ لقب . وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا . وذكر في أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١٦٧) رجلاً آخر شاميًا بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين . وكذلك اسم بَحير كان شائعاً في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس (٣ : ٢٩) اربعة من الصحابيين بهذا الاسم اشهرهم بَحير بن ابي ربيعة المسمَّى عبدالله وبَحير الانماري

(بِشر وبَشير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليَّة وكثر في القبائل التي مرَّ بيان نصرانيتها كبشر بن الحارث الصحابي وبشر بن المعلَّى سيِّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر . وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أُسد الغابة ١ : ٢٩٣) . وعلى رأينا انَّ في هذا الاسم اشارةً الى اسم البشارة او انهُ استعير من الآراميَّة بهذا المعنى فاتخذه النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

(البَعيث) هو اسم بعض اهل الجاهليَّة النصارى اخصُّهم بعيث بن حُريث الحُنفي وبعيث بن رزام التغلبي . واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بن بشير من بني جاشع واسم امهِ ورده . قالوا انهُ دُعي بعيثاً لقولهِ :

تبعَّثَ مني ما تبعَّث بعدما أمرَّت قوايَ واستمرَّ عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعث اي النبعث من الموت كما دعا نصاري الغرب بهذا المعنى « Anastase » وتذكر انَّ الاب انستاس الكرملي التحفنا في الشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الخضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم

(تَوبة) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمَّى بهِ في الجاهليَّة او في اوائل الاسلام تَوبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣ : ١٠٥) وتوبة التَّاربي واسمهُ عبد الملك (فيه ١ : ٥٧٨) وتَوبة بن الحُمير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠ : ٦٧)

(ثابت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهليَّة ولا سيما بين القبائل المتنصرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها. ولعلَّهُ احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيَّة الاجنبيَّة كمثل « Constans » اللاتينيَّة او « Firmus »

(جابر) ممَّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليَّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَيّ (شعراء النصرانيَّة ص١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في أيام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢٦:٢) ولعلَّهُ من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجَبْر وجبَّار وجبرئيل كما مرَّ

(الحارث) احد الاعلام التي استحبَّها النصارى في الجاهليَّة فتسمَّى بهِ ملوكهم الغسَّانيُّون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقَّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولاً الى اللاتينيَّة (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيَّتهُ الى ابنائهِ (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عبَّاد شاعر بني بكر وسيِّدهم (شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠). والحارث بن حلِّزة البكري (شعراء النصرانية ص٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود اليمنيِّين على محمَّد في السنة ٩ للهجرة (الطبري). امَّا اصل هذا الاسم فليس بثابت . وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الاسلام (ص١٦٦) انَّهُ معرَّب من اليونانيَّة (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيَّة ومعناها العامل بالارض » . وفي قولهِ نظرٌ لأنَّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيَّة وبهِ عُرف ملوك من النبط

(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنَّا بن زبدى لانَّ السيِّد المسيح خصَّهُ بمحبَّتهِ بين تلاميذهِ (١ . وعلى ظنِّنا انَّ النصارى الذين سُمُّوا بهِ اشاروا الى ذاك الرسول. ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة (راجع أُسد الغابة لابن الاثير ١:٣٦٨–٣٧٥). ومن شهداء النصارى في مدينة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمَّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا (BHO, p. 84) وعُرف بهِ شهيدان

---

١) وفي شرح المفسِّرين للقرآن يدعونهُ « حبيباً النجَّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذَّبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب النجَّار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

آخران في صور وفي العراق في ايام سابور . وبينهم واحد نُسب اليه دير حبيب (ياقوت ٢ : ٤٥٣)

(حكيم) من المحتمل انَّ الذين دُعوا في الجاهليَّة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصة بن ضرار الثعلبيّ (حماسة ابي تمّام ص ٧١٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس (أُسد الغابة ١ : ٣٩) وغيرهم انَّما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم

(خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيَّة بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا بهِ اولادهم في الجاهليَّة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ الى النصرانيَّة (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيبانيّ (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ (سيرة الرسول ٤٦). ومن المحتمل ايضاً انَّهم عرَّبوا ذاك من اعلام نصرانيَّة يونانيَّة (ἀίδιος) او رومانيَّة (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua) . ومثل خالد تسميتهم مخالدة وخُلدة وخويلد وخليدة وخلّاد (اسد الغابة ١ : ١١٩—١٢٢ و ١٢٧)

(الخضر) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المفسرون ايَّ اختلاف فقالوا انَّهُ النبيّ الياس او النبيّ اليشاع او النبيّ ادريس او القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ اثرًا بين اعلام الجاهليَّة . ولو كان قديماً لدُعي بهِ احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انهُ تعريب «Horus»

(الخليل) التسمية بهِ لم تسبق الاسلام . ولعلَّهم استعاروهُ من قول القرآن في سورة النساء (٤ : ١٢٤) : «واتَّخذ اللهُ ابرهيمَ خليلًا» فدعوا بهِ مشيرين الى ابراهيم ابي المؤمنين

(سَعْد وسَعيد وأَسْعَد) دُعي بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك ابي المرقّش الذي دفع ابنهُ الى احد نصارى الحيرة ليعلِّمهُ الخطّ (الاغاني ٥ : ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس (٨ : ٧١) وسعد الذي نُسب اليهِ دير سَعْد (ياقوت ٢ : ٦٦٩) وأَسعد بن زُرارة (أُسد الغابة ١ : ٧١) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الاسماء معرَّبةً عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد «Felix» مثلًا . والى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي «سَعْدان بن

عبد يسوع » المذكور في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) في حروب قيس وتغلب

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقّع على اعماله في اليونانية « Σάλμας » (راجع الشرق المسيحي Lequien : *Oriens Christianus*. II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام . ومؤرخو العرب يزعمون ان نبيًّا بهذا الاسم أُرسل الى قوم ثمود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأبى اكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة واهلكهم الّا الذين آمنوا فتوجّه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد انّ النبي المذكور احد دُعاة النصرانيّة الذين سبق لنا ذكرهم . وما يؤكده كتبة العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ed. Wüstenfeld,) انّ فيمون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبهُ في دعوته ولزمهُ رجل اسمهُ صالح من عرب الشام وذكر في أُسد الغابة (٣ : ٢) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان اصلهُ من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتل بقَدَيد وكان صالحًا دينًا » . فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرّب عن اسم اجنبيّ نحو « Justus » او « Innocens » او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهليّة المشهورة فهو بثناية كيفا (ܟܹܐܦܵܐ) السريانية و Petrus اللاتينية والصفا العربيّة وهو الاسم الذي سمّى به السيد المسيح هامة رسله اذ جعله كصفاة عليها تُبنى بيعتهُ . وليس لدينا برهان قاطع على انّ العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب قبل الاسلام ص ١٦١) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانية فتسمّوا بها وضرب مثلًا على ذلك اسم الحارث كما مرّ واسم « صخر » فقال انهُ « ترجمة بطرس »

(مالك) نظنّ انّ هذا الاسم بين نصارى الجاهليّة اما معرّب عن اليونانية واما مشير الى احد اولياء النصارى . والدليل على الاوّل ما رويناهُ سابقًا (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العموديّ سمّاهُ الكاتب (Basilicus) اي ملكًا . والدليل على الثاني اسم رجلين من نسّاك النصارى اشتهرا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO. pp. 131-132)

(محمّد) مرّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و١٤٨) انّ اسم محمّد من اعلام زمن الجاهليّة . وانّ النصارى عُرفوا به كمحمّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعيّ من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161) . وهذا الاسم يشبه بمعناه عدّة اسماء يونانيّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخصّهم اوتيميوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاوّلين فمن المحتمل ان يكون عُرّب عن بعضها

(منصور) نجد هـذا الاسم بين اعلام الجاهلية . منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعميّ بن اياد . ومن بني ربيعة منصور بن جَوْنة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠) : « كان شريفاً بالشام سيّداً » . ومن قضاعة منصور ابن جمهور من رجال كَلْب . واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني اميّة وهو القديس العلّامة يوحنّا الدمشقي . وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرّب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥ الاعلام النصرانيّة الجغرافيّة

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لزارات النصارى واكرامهم لها

(أورشَليم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعده مدينة مقدّسة يكرمها النصارى ويتبرّكون بزيارتها . والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانّما جاءت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١ : ٢٠٤ واللسان ٥ : ٩٦) :

وطوّفتُ (١ الملوك آفاقَهُ عُمانَ فحمْصَ فأورشَليمْ
اتيتُ النجاشيَّ في داره وارضَ النيطِ وارضَ العَجَمْ

وروووا : أورَيْلِم وأورَاسَلَمْ . وذكروا حديثاً للنبيّ (اللسان ٥ : ٩٦) : « أبشري أورَى شَلَّم بَراكِب الحمار » قالوا يريد بيت المقدس . وهذا الحديث منقول عن نبوّة زكريّا في السيّد المسيح ودخوله الى اورشليم (متى ٢١ : ٥) : « قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان »

---

١) وبروى : وقد طفتُ

(إيلياء) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ رومانيّ الاصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيَّد هيكلاً للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت انَّ معنى ايلياء بيت الله والصواب انَّها مشتقَّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوَّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١ : ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين:

فلو انَّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ ... الى واسطٍ من إيليا لكَلَّتِ
سمَى بالمهارى من فلسطينَ بعدما ... دنا الفيءُ من شمسِ النهارِ فولَّتِ
فما غاب ذاك اليومُ حتى اناخها ... بغَيْسانَ قد حُثَّت عُراها وكَمَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١ : ٤٢٤):

وبيتانِ بيت الله نحنُ وُلاتهُ ... وقصرٌ بأعلى ايلياءَ مُشرَّفُ

(سَدُوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لمآثمهم . وقد عرف العرب في الجاهليَّة امرها فقال عمرو بن درَّاك العبديّ (في التاج ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧):

وابي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ ... وخالفتُ المرونَ على قيمِ
لأعظمُ فجرةً من ابي رغالٍ ... وأجورُ في الحكومةِ من سَدُومِ (١

وقال اميَّة بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢ : ٢٠٧):

كذلك قومُ لوطٍ حين أسروا (٢ ... كمَصْنَفِ في سَدُومِهمُ رميمِ

(سِينا) قال ياقوت (٣ : ٢٢٠) : « موضع بالشام يضاف اليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم ونُودي فيهِ ». وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠): « وشجرة تخرجُ من طور سيناء ». وربَّما دُعي بالطور دون اضافة كقولهِ (في سورة مريم ١٩ : ٥٣): « وناديناهُ (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا ». ومثلهُ قولهُ عن

---

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلَّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى : لاعظم صفقةً من شيخ سَهو

٢) وروى ياقوت ٣ : ٥٩) : حين أضحوا

رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨ : ٢٩) : « آنس من جانب الطور نارًا »

(صِهْيَون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس او احدى كنائسها . وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديّان وقيل يمدح السيّد والعاقب اسقفَي نجران (ياقوت ٣ : ٤٣٨) :

ألا سيِّدَيْ نجرانَ لا يوصِلَنْكما بنجرانَ فيها ناجما واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وترتديا به فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكنيا نجران أمرَ عظيمةٍ فتبلُغكما ما سادها ابواكما
وان احلّتْ صهيَوْن يومًا عليكما فانّ رحا الحرب الدكوك رحاكما

(القُدْس والقُدس ويقال بيت المَقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدّد الفرزدق (الاغاني (٢١ : ١٩٧) :

قُل للفرزدقِ والسَّفاهةُ كاسمها ان كنتَ تاركَ ما نهيتُكَ فاجلِسِ
ودَعِ المدينةَ انّها مذمومةٌ واقصدْ لمكّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج (٤ : ٢١٣) لشاعر يخاطب ناقتهُ :

لا نومَ حتى تحبطي ارضَ القُدُسْ وتشربي من خيرِ ماء بقُدُسْ

وورد في شعر العجّاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt) :

ضراغمٌ تنفي بأخذ خمسِ عن باحة البطحاء كلَّ نجسِ
حتى تزول هضباتُ قُدسِ

وقد مرَّ بنا (ص ١٩٨) انّهم كانوا يدعون بالمُتدّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبه كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور :

فادركْنهُ يأخذنَ بالساقِ والنسا كما شبرَق الولدانُ ثوب المتدّسِ

(لهُ بقيّة)